٩٩/١٩/٤/٢٨

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨٢٦٠
التاريخ ١٥/٢/٢٠١٤

الفكر العربي

مجلّة الإنماء العربي للعلوم الانسانيّة

تصدر عن معهد الإنماء العربي في بيروت

العدد الثاني والثلاثون نيسان (ابريل) - حزيران (يونيو) ١٩٨٣ السنة الخامسة

مستشارو التحرير

د. علي بن الأشهر — د. إحسان عبّاس — د. شكري فيصل

الشيخ عبدالله العلايلي — د. عمر التومي الشيباني — د. عبدالسلام المسدّي — رئيس التحرير

د. مصطفى التير — د. معن زيادة — د. إبراهيم رفيدة — رضوان السيّد

المدير المسؤول عوض شعبان

العنوان

معهد الإنماء العربي
بيروت - لبنان

ص.ب المجلة : ١٤/٥٥٦٤ ص.ب المعهد : ١٤/٥٣٠٠

الهيئة القوميّة للبحث العلمي
طرابلس ص.ب ٤٠٨٠

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الثمن : ٢٠ ل.ل. أو ما يعادلها

المركزية الاوروبية

وعلاقة الشرق بالغرب في الفكر الماركسي

ميشال نوفل

تسعى هذه المحاولة إلى إعادة تركيب عناصر الرؤية التي تُمحور العالم حول أوروبا في فكر كارل ماركس وفريديريك انغلز، والتقاط تطور مفهوم «المركزية الأوروبية» (Européocentrisme) على يدي لينين وتحوّله مشروعاً استراتيجياً يستعيد وظيفة «مركز الاستقطاب». فالتصوُّر القائل بضرورة صياغة النظام العالمي، انطلاقاً من نموذج للتنمية محكوم بالتجربة الأوروبية، الأمر الذي يفترض تقنين المجاري المختلفة، والمتعدّدة للتراث الحضاري الانساني، تبعاً لحاجات مركز ثقل واحد ـ مع ما يترتب على هذه العملية (Procès) من إلحاق وتدمير للثقافات غير الأوروبية المنكفئة إلى حدود «أطراف» تابعة ـ هذا التصوُّر يتواصل في فكر لينين الذي راهن حتى اللحظة الأخيرة على الديناميكية الثورية للغرب.

السمات المميزة

إن الماركسية، كنمط أصيل من التفكير الأوروبي، تحمل السمات المميّزة للثقافة الأوروبية، كما تبلورت منذ عصر «النهضة»، وهي فهم التاريخ بصفة كونه تياراً تمدينياً واحداً، منطلقه التراث المزدوج الإغريقي ـ اللاتيني واليهودي ـ المسيحي[١]، ومآله «وحدة التاريخ» و«وحدة الحضارة»، وهي المقولة التي يعيدها أرنولد توينبي إلى (٣) جذور: **وهم الذات ـ المركز، ووهم «الشرق الثابت»، والتصوُّر المسبق للتقدم** باعتباره حركةً تسير في خط مستقيم[٢]، والإدراك المادي للحياة والكون الناجم عن الفصل بين الفكر والمادة والروح والجسد، ومنه النزعة الفلسفية النفعية / الأنانية، والنظرة التي تحدِّد جوهر الوجود بالصراع والتناقض، مما يفترض تصوُّراً للعلاقة بين الانسان والطبيعة يباعد بينهما ويكرّس الغربة بين البشر[٣]، ويستتبع نزوعاً إلى السيطرة على الطبيعة وامتلاكها والتصرُّف بثرواتها من دون حدود، لكون «الانسان سيد الطبيعة ومالكها» ـ بحسب صيغة ديكارت الشهيرة ـ. وتجلّت هذه النزعة مع «عصر الأنوار»، خصوصاً منذ الثورة الصناعية في أوروبا، وقد بلغ جنوح

إنما هي عبارة عن عملية مسح شاملة، للشرق الأدنى؛ وهي لا تقتصر على التاريخ بما هو حدث مندثر، بل بفعله في الحاضر، إنها عملية تطال البنى التحتية والفوقية لمجتمعات الشرق، بما في ذلك دراسة الأديان لفعلها العميق في الذات الشرقية، ولما أحدثته وتحدثه من تغيير وهدم وإعادة بناء. ألا يسترعي هذا العمل وقفة تأمل فيما يمكن أن نؤول إليه في هذه المنطقة؟ أم أن العلم غايته العلم، ولا شيء غير ذلك؟!.

ج - رعاية الدراسات العربية في مكتبة جامعة توبنغن

(أميل كومرر)

شغل كاتب المقال منصب أمين مكتبة جامعة توبنغن عام (١٩٥٣)، ولم تقتصر اهتماماته خلال مسؤوليته، على المؤلفات الاسلامية، بل اهتم كذلك بالدراسات الهندية، والقوقازية، وغيرها؛ يساعده في ذلك خبير في الدراسات الهندية، وخبيرةً في الدراسات الايرانية، وخبيرة في الاسلاميات. وقد وضعت الهيئة الألمانية للبحث العلمي عام (١٩٤٩)، خطة تقضي، من ضمن ما قررته، بشراء المؤلفات المتخصصة وتجميعها في مكتبات خاصة، ورصدت لذلك إمكانات طائلة، وبذلك أصبحت مكتبة توبنغن تضم إلى كتب اللاهوت، كتباً في علم الخط المسماري، والدراسات السامية والاسلامية، والهندية.

ويقول كومرر إن السنوات العشرين الأخيرة أظهرت عدداً من المؤلفات العربية التي لم تكن معروفة، أو ظلت في سباتها مكدَّسة في مكتبات الشرق وأوروبا وأميركا، ففي كل عام نفاجأ بما يصدر من المؤلفات القديمة التي ساد اعتقاد بأنها فُقدت، وتبعاً لذلك تتغير أفكارنا كل عام عن الثقافة العربية.

تحتوي مكتبة جامعة توبنغن على أقدم مخطوط لكتاب «**فضائل القرآن**» لأبي القاسم بن سلام، ومخطوط «**سمط اللآلىء**» لأبي عبيد البكري، وهو تعليق على «أمالي القالي»، ومخطوط «**نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**» للفقيه الأندلسي علي بن موسى بن سعيد، وهذا المخطوط وصفه «زايبولد» بأنه «التحفة الفريدة، والمخطوطة الوحيدة المكتوبة بخط واحدٍ من أشهر المؤلفين العرب، وهي من أجدر مخطوطات العرب بالرعاية والاحترام»، ثم مخطوط «**حكايات عمر االنعمان**» وهو أقدم مخطوط الرواية الفروسية الشهيرة التابعة لكتاب «الف ليلة وليلة»، ويحتوي على (٤٦) لوحة ملّونة ترجع إلى القرن الخامس عشر. كما تحتوي المكتبة على عدد من المخطوطات لمشاهير علماء الدراسات الاسلامية والعربية، بينها كتب يوليوس أوتينج التي كان وضعها خلال رحلته للبلاد العربية (١٨٨٣ - ١٨٨٤).

د - الرسوم الصخرية والنقوش في جزيرة العرب

(والتر موللر)

يعتبر والترموللر، أن الصورة التي تقدمها الرسوم الصخرية عن سكان الجزيرة العربية، في فترة ما قبل النقوش، متعددة الجوانب، متنوعة الألوان؛ بذلك تكون المنطقة قد شهدت تراجع مجموعات مختلفة من الشعوب، ما كنَّا لنعلم من أمرها شيئاً لولا تلك الرسوم، وذلك عائد إلى صعوبة إيجاد الرابط بين حضارة الرسوم المادية والموجودات الأثرية.

كان التحدث عن عهد ما قبل الكتابات السامية، وحتى وقت قريب، رجماً بالغيب. إلاَّ أن ذلك لا يعني أن الجزيرة العربية كانت قفراً قبل ألفي سنة من ميلاد المسيح، فالآثار تغطي فترات العصر الحجري الهامة، وقد عثر على رسوم في وسط الجزيرة، جنوبي غربي الحجاز، تمثل سكان المنطقة بأزيائهم وأسلحتهم، وعاداتهم وأعمالهم، يعود تاريخها إلى الألف الخامس والألف الثاني قبل الميلاد. ويتحدد نمط حياة الجماعة، والحقب التاريخية، من خلال الرسوم الصخرية للحيوانات، فالبقر كان مدجَّناً منذ القرن الرابع قبل الميلاد على أقل تقدير، وكثيراً ما نجد الوعل في تلك

الرسوم، ودوره لا يقتصر على رسوم الصيد، بل يلعب دوراً في الشعائر الدينية، فهو مقدس عند إلّه القمر، حتى في فترة النقوش المتقدمة في شبه الجزيرة العربية، ولا زالت آثار تقديسه بادية حتى الآن في حضرموت واليمن. وظهور الجمل في مناظر الصيد يدل على أنه كان لا يزال بريّاً لم يدجن، مما يؤيد الرأي القائل بأن ترويض الجمل بدأ في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، حين بدأت قوافل الإبل تمر عبر طريق البخور الشهير. وقد تأخَّر ظهور الجواد في بلاد العرب، وأول رسوم لراكبي الجياد، نجدها مع نقوش العصر الحجري؛ كذلك لم يرد ذكره في نصوص ما قبل القرن الثالث الميلادي. وقد خفت الرسوم مع ظهور الكتابة، وبقيت النقوش التي قلّت هي الأخرى مع ظهور الاسلام، والشواهد النقشية الأولى خلّفها السبئيون من عرب الجنوب، وكانت نقوشهم شديدة الدقة والاتقان.

وقد حظي الدين على مر العصور بكبير اهتمام الشعوب، فنادرة هي النقوش التي لا تشير إلى إلّه ما، كما تتضمن النقوش أسماء الملوك وإنجازاتهم وغزواتهم ومشاريعهم.

ساد الإلّه الواحد منذ النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، محل الآلهة المتعددة، ويتضح في نقوش تلك الفترة الطابع الديني اليهودي، خاصة في ثلاثة منها، كتبت عام (٥١٨ م) في عهد الملك يوسف، المعروف في التراث العربي باسم ذي نواس. وهنالك نقش مسيحي يعود إلى عام (٥٤٢ م)، يحكي عن الجهود التي بذلت لإصلاح سد مأرب بعد انهياره للمرة الثانية، بذلك تنتهي فترة غنية بالشواهد. فالنقوش تقدم لنا صورة واضحة عن الدولة والمجتمع والدين والعادات وطرق العيش، والغزو. وبكلمة، تشمل أهم مناحي الحياة ونشاطاتها. وفي ويدان، التي شكلت طريقاً هاماً على طريق البخور، وجد عدد من النقوش، ثم النقوش اللحيانية نسبة لملوك لحيان الذين حكموا زهاء قرن ونصف، كذلك خلّف النبطيون عدداً من النقوش بالخط الآرامي. كما عُثر على نقوش ثمودية وصفوية في سورية والأردن، نقشها البدو وأصحاب القوافل، ووُجد في النمار نقش على ضريح امرىء القيس، ويُعد من أقدم ما كتب بالعربية التي عمت مع الاسلام.

هـ - معجم اللغة العربية الفصحى
(مانفريد أولمان)

شهد القرن الثاني للهجرة إنجازات هامة على صعيد اللغة. ومن بواكير تلك الإنجازات معجم « **العبق** » للفراهيدي ثم كتاب « **الصحاح** » الذي صنفه الجوهري، ثم توالت سلسلة من المعاجم، كان أهمها « **التهذيب** » للأزهري، و « **لسان العرب** » لابن منظور و « **القاموس المحيط** » للفيروز آبادي، والذي شرحه في القرن الثاني عشر الهجري المرتضى الزبيدي في « **تاج العروس** ». ناهيك بالرسائل والكتابات التي تفوق الحصر.

وكانت المعاجم اللغوية مرجعاً أساسياً للمستشرقين في العصر الحديث ولا تزال، تعينهم في أبحاثهم. ولم تأتِ المعاجم التي وضعها المستشرقون مؤخراً بجديد لجهة اللغة، لأن علماء اللغة العرب، أشبعوا مادتهم درساً وأوفوها حقها شرحاً وتحليلاً. على أن المستشرقين يعيبون على هذه المعاجم، ضيق دائرة الاهتمام ومحدوديتها، بالنظر إلى رحابة الأفق الثقافي العربي؛ ويعتبرون أن علماء اللغة العرب أسقطوا الجذور والمصطلحات التي وضعها علماء التاريخ والجغرافيا والطب والفلك والرياضيات. هذه الإعابة دفعت عدداً من الباحثين الغربيين إلى التفكير « بسد النقص » الحاصل في المعاجم العربية، معتمدين تتّبع الاستعمال اللغوي للفظة واحدة. وأول عمل ظهر لراينهارت دوزي في « **ملحق القواميس العربية** » عام (١٨٨١)، ثم تبعه المستشرق المعروف فيشر الذي وضع خطة **لقاموس « عصري للعربية الفصحى »**، وانتقل إلى القاهرة لجمع مادة هذا العمل، إلاَّ أنه توفي قبل انجاز عمله. بعد ذلك، قام عدد من المستشرقين بزيارة القاهرة للإطلاع على ما خلّفه

فيشر، ونتج عن ذلك صدور مجلد عام (١٩٧٠) يستند إلى ما يقارب الستماية وثمانين مرجعاً صنفت تصنيفاً علمياً، ويتضمن ثلاثة وأربعين ألفاً من الاقتباسات والاستشهادات.

ويشدّد أولمان في نهاية مقالته على متابعة العمل الذي أسس له فيشر بغاية التوصّل إلى معجم ذي فعالية في إعادة النظر في كثير من المعارف. ومثل هذا المعجم سيساهم في إبراز الدراسات العربية في ضوء معايير واكتشافات جديدة.

و- تاريخ العلوم العربية

(ريكس، شرام، أولمان)

حظيت اللغة العربية بشديد اهتمام المستشرقين، الأمر الذي أدّى إلى إهمال البحث في تاريخ العلوم عند العرب. ومع بداية القرن العشرين بدأ اهتمام الباحثين ينصب حول هذا الموضوع. كما قامت جامعة توبنغن بتخصيص قسم للبحث في تاريخ العلوم العربية والاسلامية. ففي سلسلة بعنوان « **مرجع الدراسات الشرقية** »، يتولى نشرها بيرتوشبيلر، نجد أن مجلداً كاملاً يتناول « الطب في الاسلام »، والجزء الرئيسي من الكتاب يتعرَّض للطب العربي ـ الإغريقي؛ أمَّا المجلَّد الثاني، فيهتم بالعلوم الطبيعية، والسحر والتنجيم، ويحتوي بيبليوغرافيا لأكثر من تسعماية بحث عربي وفارسي عن الحيوان والنبات والكيمياء والزراعة وغيرها. ولا تأتي أهمية العلوم عند العرب، من كونها نقلت حضارة اليونان، بل تستحق لذاتها المزيد من البحث والفهم، لأن العرب تفوَّقوا في مجالات عدة على أساتذتهم اليونان، ففي عصرنا هذا، يهتم علماء الغرب بالبحث بما ورد في المراجع العربية من تطبيق الرياضيات على موضوعات العلوم الطبيعية، وفي طليعتها علم الفلك.

وخصص المجلد الثالث للرياضيات، وهو يرمي إلى عرض نقاط ومراكز ثقل معينة من النظريات المتطوّرة المطروحة، حيث إن الالمام بها يعتبر شرطاً لمواصلة البحث في المصادر. والعلماء العرب السباقون إلى ربط العلوم بنظرية أرسطو حول فلسفة الطبيعة؛ وهذه المحاولة هي الأولى، لأننا لا نجدها عند الاغريق، ويأتي في طليعة هؤلاء ابن الهيثم؛ وعن محاولاته هذه، انبثق علم البصريات. وترجم كتاب ابن الهيثم إلى اللاّتينية، وحقق، وظل لقرون أول نموذج للفيزياء التجريبية.

ز- النصوص الغنوصية والمانوية في مصر

(الكسندر بوليج)

الغنوصية والمانوية، نظرتان دينيتان متلازمتان، جوهرهما: ارتباط عنصر النور في الانسان والطبيعة بالمادة المكثفة المظلمة، فالنور يصدر عن الإله الأعلى، واختلاطه بالظلمة، إنما هو نتيجة للخطيئة الأولى، وانبثاق النور عن الإله هو الأصل الحقيقي للعالم.

والركيزة الفلسفية للغنوصية، تساؤل حول ماهية الانسان، وجوده والمآل. وخلال المرحلة الأولى لصعودها، شنت المسيحية حرباً لا هوادة فيها على الغنوصيين، فقضت عليهم وأحرقت مخطوطاتهم.

كان لاكتشاف نصوص غنوصية ومانوية في مصر وقع كبير في أوساط علماء الاستشراق والعرب على حد سواء. فقد كُشف عن نصوص غنوصية في مكتبة تقع على مقربة من نجع حمادي عام (١٩٤٦)، كما اكتشفت نصوص مانوية في المعادي عام (١٩٣٠). وقد نقلت محتويات المكتبة المانوية إلى أوروبا، بينما احتفظت مديرية الآثار المصرية بالمكتبة الغنوصية. وباكتشاف هاتين المكتبتين، ربما انكشفت حجب الغموض عن نشأة الغنوصية، إذ يسود اعتقاد أن الغنوصية، ربما كانت حركة فلسفية هرطوقية انشقت عن المسيحية؛ ولهذا الاعتقاد ما يسوغه بالنظر لما تحتويه المكتبة من الأناجيل والنصوص المنسوبة للحواريين، كما نجد نصوص وطقوس السحر التي استمدت من الديانات الوثنية، إلى جانب نصوص يهودية تخلو من أي أثر للمسيحية. وتنقسم الن وصيون إلى مجموعات، وفرق

واتجاهات، كانت تتبادل الآراء والنقاشات الفكرية والدينية والفلسفية؛ إلاَّ أن شخصية ماني كانت مهيمنة لدى جميع هذه الفرق، باعتباره مصدر الإلهام الإلهي، وهو ناسخ لجميع ما سبقه من الأديان. وتحظى مذاهب الغنوصيين والمانويين حالياً باهتمام جامعة توبنغن، وهي بصدد درس درجات التقارب والتنافر بين هذه المذاهب.

حـ ـ نشأة العالم العربي الحديث وسيرة سايكس

(هيلموت مايشر)

صُبغت المنطقة العربية بتاريخها الحديث بصبغة أوروبية، نتيجة سياسة الإخضاع والسيطرة التي مارسها الغرب الاستعماري تجاه هذه المنطقة. وأدت الحرب العالمية الأولى إلى إعادة تقسيم وتوزيع امبرياليين، وكان تقسيم المنطقة كما أراده الحلفاء، يتعارض مع مخططات الألمان والأتراك الذين عملوا على خلق محور يربط بين برلين واسطمبول وبغداد والبصرة. وقد أشرفت فرنسا ـ كما هو معلوم ـ على سورية ولبنان؛ وانكلترا على العراق والاردن وفلسطين، كما نصت معاهدة سايكس ـ بيكو على قيام كيان يهودي تضمنه أطراف الاتفاقية.

من هو مارك سايكس الذي اقترنت الاتفاقية باسمه؟ إنه سليل بارونات يوركشاير، درس اللغات الشرقية في كمبردج، وقام بعدة رحلات في أقاليم الدولة العثمانية، ثم أصبح عضواً في مجلس العموم، وخلال الحرب العالمية الأولى عُهد إليه بتنسيق المسائل الخاصة بالشرق الأوسط، ثم أصبح خبيراً مستشاراً لرئيس الوزراء. تلخصت سياسته بحماية اليهود والمسيحيين من الأتراك، وباستمالة شيوخ البدو والعشائر عن طريق الهدايا والأموال، وتنشيط تجارة العراق، وخلق صحافة عربية موالية لبريطانيا، تحرّض ضد الاستعمار التركي لتظهر بمظهر وطني وقومي، وفتح المدارس، وتأمين فرص عمل للكوادر المتعلّمة، هذه الأمور التي ستؤدي إلى قيام « دول » تابعة، بما في ذلك اسرائيل.

ط ـ البحوث القرآنية

(رودي باريت)

تولى كاتب المقال رئاسة قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبنغن لمدة عشرين عاماً، وكرَّس هذه المدة للدراسات القرآنية، ثم تعلَّم اللغة العربية انطلاقاً من العبرية، ويقول إنه كرَّس في البداية عاماً لقراءة القرآن الكريم، مستعيناً بقاموس عربي ـ فرنسي، وبترجمة ماكس هيننج؛ إلاَّ أنه سرعان ما يعترف بأن محاولته هذه « بقيت غاية في السطحية، ولم يكن لها أي علاقة بالبحث في القرآن ».

ثم تفرَّغ بعد ذلك لدراسة جادة للقرآن، عبر جمع كل الموضوعات والألفاظ والصيغ الكلامية، والرموز اللغوية، وتنظيمها وتفسيرها، فكان أن أصدر عام (١٩٧٥) كتاباً بعنوان « محمد والقرآن » صدر عن دار كولهامر في شتوتغارت. ثم أعد ترجمة للقرآن بعد اطلاعه على تفاسير الطبري، والزمخشري، والبيضاوي؛ كما حرص على الاستعانة بالنص القرآني ذاته. إلا أن كاتب المقال، رغم جهوده الكبرى، لا يبدو أنه بلغ قصده ومُناه، فهو يرى أن هناك تناقضاً في الآيات، دون أن ينتبه إلى ظرف الوحي بها، وإذا كان باستطاعة القارىء أن يدوِّن ملاحظة من خلال محاولته تفسير آية واحدة في مقال صغير، فكيف لو قُيض للقارىء نفسه الاطلاع على مجمل التفسير.

وربما كان الممكن في عدم فهم القرآن فهماً صحيحاً، أن المستشرقين ينظرون إليه كَسُورٍ، كل واحدة منها نص « أدبي » متكامل. إلا أن باريت يعود فيؤكد أن مجال البحث في القرآن يتطلب المزيد من الدرس، وأنه لا يصح الظن بإمكان توضيح نشأة جميع السور، وفهم بنائها الداخلي، على أنها وحدةٌ مترابطة الأجزاء.